المحاضرة الخامسة: المتعلم ودوه في العملية التعليمية

محاور المحاضرة:

2/ دور المتعلم في التربية التقليدية

3/ دور المتعلم في التربية الحديثة

تقديم المحاضرة

تمهيد:

إنّ العملية التعليمية التعلمية تضم قطبين رئيسين اثنين هما المعلم والمتعلم ، وقد سبق التفصيل في المحاضرة السابقة عن المعلم ودوره في العملية التعليمية، ليصل الحديث بنا إلى القطب الثاني ألا وهو المتعلم، هذا القطب الذي يقدم على أنّه الفرد المشارك بنشاط تعلمي، سواء أكان في المدرسة او الجامعة، أو كان ذاك التعلم ذاتيا، غير أنّ الهدف ذاته، حيث إنه لا يخرج عن إطار اكساب المعارف وتطوير الخبرات والمهارات. فهو يتفاعل مع المحتوى المقدم اليه، وذلك بأن يحلل، ويركب، ويسأل، ويضيف، ويدمج خبرات سابقة مع خبرات مستقبلية مستهدفة. فهو ليس مجرد متلقي سلبي، أو صورة بيضاء، وإنما هو فرد متعلم له خبرة، وزاد معرفي، اكتسبه من خلال الاحتكاك بأسرته، وبني جلدته، لذا فإنّ هذا الزاد المعرفي يؤهله لأن يكون فرد فعالا، وذا قيمة تربوية وديداكتيكية ناجعة.

ومن حملة التعاريف التي لحقت المتعلم تعريف الفيلسوف والمصلح التربوي الأمريكي جون ديوي (John Dewey) الذي **يقول " إنّ المتعلم هو فرد نشط يشارك في عملية التعلم من خلال الخبرة والتجربة العملية"**[1] ، فديوي بهذا التعريف يقرّ بوجود خبرة للمتعلم، أي للمتعلم معارف سابقة وليس وعاء فارغة كما تزعم بعض المقاربات التربوية التقليدية، والتي سنفصل الحديث عنها في المساحة القادمة من البحث.

وعليه يمكن أن نطرح سؤال كيف يتعلم المتعلم؟ هذا السؤال تجيب عنه جملة من الدراسات التي توصلت اليها علوم شتى في ميدان التعليمية، والتي تعد مرجعا أساسيا في العملية التعليمية التعلمية، وهذا بحكم أنها عملت على تفسير سلوك الفرد، وبحث في الأسباب التي تدفع المتعلم إلى الاقدام على التعلم أو نفور منه. وهذا ما نجده عند عالم النفس (**واطسون)**، الذي يرى بأنّ المتعلم يستجيب للمثيرات ويتعلم من خلال التكرار والمكافأة والعقاب.

وفي هذا التعريف نلمس ذاك التعلم الآلي الميكانيكي، فكأنّ التعلم إن غابت عنه المثيرات لن يحصل، فالاستجابة للتعلم تبقى رهينة وجود مثيرات وعددها، ولنا أن نقيس هذه المثيرات بأسئلة الأستاذ، واجابة المتعلم عليها بالاستجابة، فيكون التعلم وقتها بعدد الأسئلة المثارة، أي بعدد الفرص التي يمنحها المعلم للمتعلم.

وهذا التوجه يتبناه أصحاب النظرية السلوكية من أمثال واطسون، وسكينر ، وثورندايك في نظريته التعلم بالمحاولة والخطأ، والتي تبنت جملة من المبادئ التي من شأنها ان تعزز فرص التعلم، وبالتالي تقوية الجانب المعرفي للمتعلم. غير أنّ أحمد حساني يقول " **إنّ المتعلم هو محور العملية التعلمية وهو أيضا مهيأ للانتباه والاستيعاب مع حرص المعلم على دعمه المستمر لاهتماماته وتعزيزها بغرض ارتقائه الطبيعي الذي يقتضيه استعداده للتعليم"**[2] .

---

[1] ينظر : : DEWEY .J ; (1938) , EXPERIENCE AND EDUCATION, NEW YORK : MACMILLAN وينظر: كذلك كتابه المصدر والمجتمع.

[2] ينظر: أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 2000، ص: 142.

وعليه يتحدد دور المتعلم في هذه المساحة من العمل في مرحلتين: الأولى منها نرجع خطوة للوراء ونرى كيف كان دور المتعلم في المقاربات التقليدية السابقة عندما كان المعلم محورها الأساسي، اما الثانية فتتعلق بالمقاربات الجديدة التي جعلت من المتعلم الفاعل الأساسي في تسيير الحصص التعلمية، وآمنت بقدراته من اجل تطوير مهاراته وبناء معارف جديدة.

ثانيا / دور المتعلم في التربية التقليدية

إنّ الحديث عن دور المتعلم في المقاربات التربوية القديمة يلح علينا بضرورة الحديث عن طبيعة تلك المقاربات، ومبادئها، ومن ثمة فإنّ المقاربات التربوية القديمة كانت تنظر إلى العملية التعليمية على أنها عملية نقل للمعرفة تتم من قبل المعلم إلى المتعلم، وترى في المعلم المحور الأساسي في العملية التعليمية، وتعطيه بذلك الصلاحية الكبرى، في مقابل ذلك يكون المتعلم متلقي سلبي للمعارف، لا يشارك، لا يتفاعل، لا يدلي برأيه إلا بعد أن يمنحه الأستاذ فرصة المشاركة. فهي تركز على الحفظ دون الفهم، وعلى الكمية على حساب الجودة أو النوعية، فهي تبحث عن متعلم موسوعي، أي كم سيتعلم، ولا يهم إن كانت هذه المعارف التي يتلقاها المتعلم تراعي حاجته المعرفية وقدرته العقلية أم لا، ولا يهم إن كانت ذا صلة بمحيطه الخارجي أم لا. عكس ما كانت تدعو اليه المقاربات الحديثة والتي جعلت من مشكلات مجتمعه بداية للتعلم وبناء الخبرات وتطوير المهارات. ليتحدد دور المتعلم فيها في النقاط التالية:

- **عضو في العملية التعليمية التعلمية:** ليكون المعلم هو صاحب المحورية والدور الرئيسي في العملية التعليمية.
- **مساهمة قليلة في الحصص التعلمية:** يستقبل المعلومة دون أية مناقشة، أو إضافة
- **المشاركة الآلية:** أي خاضع لمثير واستجابة، تبقى مشاركته رهينة فرص الأستاذ من أسئلة.
- **ساكن:** لا يتفاعل مع الدرس.

- **يقيم في الامتحان فقط:** لا توجد أنشطة تقويمية تقف على نقاط قوة وضعف المتعلم، بل تحصر في امتحانات نهاية الفصل، تقدم له درجات بحسب درجة استرجاعه للمحتوى المقدم سلفا.
- **يدون فقط:** أي يكتفي بتقييد ما أبلقي عليه دون أية تغيير أو إضافة. حتى وإن كان ذا زاد معرفي ولغوي جيد، فإنّ المعرفة هي معرفة الأستاذ فقط.

ثانيا /دور المتعلم في التربية الحديثة

1/ **مفهوم المقاربات التربوية الحديثة:** تتحدد ملامح المقاربات التربوية الحديثة في صورة نماذج وأساليب تعليمية برزت كتيار مناقض للمقاربات التربوية القديمة ومبادئها، حيث ثارت على رؤيتها وتصويرها للعملية التعليمية، وموقفها من المتعلم، وتفسيرها للتعلم على أنه تغير نسبي فقط، وعليه فقد جاءت المقاربات التربوية الحديثة برؤية إصلاحية في العملية التعليمية التعلمية، حيث إنها غيرت من محوريتها من المعلم وجعلتها في المتعلم، فأعادت الاعتبار له من متلقي سلبي إلى شريك أساسي وفعال في تنشيط الحصة التعلمية، ومن أبرز تلك المقاربات المقاربة بالكفاءات التي تبنت طرائق نشطة تجسد محورية المتعلم في العملية التعليمية التعلمية.

والمقاربة بالكفايات تركز على تنمية قدرات المتعلم العملية والمعرفية والسلوكية، وهذا تمثلا وتقيدا بمفهوم الكفاءة في المجال التربوي، التي تعني " **قوة الفرد على توظيف جملة من المعارف المنظمة، والقدرة على حسن الفعل، إلى جانب تلك المواقف التي تسمح له بإتمام بعض الأعمال الأخرى**"[1]. ويعرفها بيار جيلي PIERRE GILET على أنها" حسن التصرف والتكيف في وضعيات إشكالية، فهي إذا إجادة الفعل التعليمي بكل تفاصيله وأنواعه،

[1] : وزارة التربية الوطنية، الوثيقة المرافقة لمنهاج التربية الإسلامية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية 2013، ص: 38.

مما يلح بضرورة استحضار جملة من المعارف المدمجة في وضعيات متجانسة، تكون قابلة للملاحظة والقياس وفق مؤشرات محددة[1].

2/ دور المتعلم فيها:

- شريك أساسي وفعال في تسيير الحصة:
- المشاركة بنسبة 70بالمئة
- تعلم نشط
- يبني معارفه ويطورها بنفسه
- يقدم رأيه، يحاور ، يناقش الخ

[1] ينظر : كمال عبد الحميد زيتون وآخرون، التدريس نماذج ومهارات ، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2005، ص: 50.